محاضرة (10) الاتصال الحجاجي

1 مفهوم الحجاج: من الصعب تقديم تعريف مضبوط ودقيق للحجاج فهو من المصطلحات ذات الاستعمالات المتعددة السياقات، اذ تتعدد اشكال ظهوره ويستعمل مع انواع الخطابات باختلاف مرجعيتها: لغوية، دينية، فلسفية، بلاغية، قضائية، سياسية...، ويصبح الحجاج بذلك بعدا من ابعاد الاتصال الانساني مكتوبا كان او منطوقا، وبناءا على ذلك سنحاول مقاربة هذا المفهوم من جوانبه اللغوية والاصطلاحية.

1 1 الحجاج لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور أن الحجة هي البرهان، وقيل الحجة هي ما دوفع به الخصم. وقال الزهري: الحجة هي الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة. وقال الجرجاني : الحجة ما دل على صحة الدعوى، وقيل الحجة والدليل واحد. فأساس الحجة هاهنا هو التركيز على دليل لاثبات قضية معينة او بناء موقف من المواقف المعينة. وجاء في قاموس Cambrige ان الحجاج هو الحجة التي تعلل أو تبرر مساندتك او معارضتك لفكرة ما.

1 2 الحجاج اصطلاحا:

تناول ارسطو الحجاج من زاويتين متقابلتين: من زاية بلاغية، وزاوية جدلية، فمن الزاوية البلاغية يربطه بالجوانب المتعلقة بالاقناع، ومن الزاوية الجدلية يعتبر الحجاج عملية تفكير تتم في بنية حوارية وتنطلق من مقدمات لتصل الى نتائج ترتبط بها بالضرورة. **بينما ربط ابن وهب الكاتب** الحجاج بالجدل والمجادلة وهذا في كتابه المعنون "البرهان في وجوه البيان" **حيث قدم تعريفا دقيقا لـ الجدل و الادلة بقوله " و اما الجدل و الادلة فهما قول يقصد به** اقامة الحجة فيما اختلف فيه المتجادلون، ويستعمل في المذاهب والديانات، وفي الحقوق والخصوم والتنصل من الاعتذارات".

كما يعرف طه عبد الرحمان **بأنه كل منطوق به** وجه إلى الغير لافهامه دعوة مخصوصة يحق له الاعتراض عليها، كما يعرفه على انه فعالية استدلالية خطابية مبناها على عرض رأي أو الاعتراض عليه، ومرماها اقناع الغير بصواب الرأي المعروض أو ببطلان الرأي المعترض عليه استنادا الى مواضعات.

يتضح من التعريفات السابقة أن :

- **الحجاج** يهدف الى تأسيس موقف ما، ومن هنا فهو يتوجه الى متلق، انه يبحث دائما لاخذ قبول او موافقة ذلك المتلقي.
- الحجاج يعتمد على تقديم عدد كبير من الحجج مختارة اختيارا حسنا ومرتبة ترتيبا محكما لتترك أثرها في المتلقي.
- الحجاج يتعلق بالخطاب الطبيعي من جهتي الاستعمال والمضمون، فهو ذو غعالية تداولية جدلية.
- الحجاج يهدف الى جعل العقول التي يتوجه اليها تنخرط في الاطروحة أو الدعوى.
- مجال الحجاج هو مجال الاحتمال وليس مجال الحقائق البديهية المطلقة.

2 المفهوم التواصلي للحجاج (الاتصال الحجاجي):

يتضح من المقاربات الراهنة ان الحجاج يفلت اكثر فأكثر من التأثيرات التقليدية والمنطق والبلاغة القديمة ليستخدم في فرع من فروع النظرية العامة للاتصال، **ذلك الفرع الذي يهتم بالاقناع (الرسائل الاقناعية). وهكذا انتقل** الحجاج من الفيلسوف الى عالم النفس، ان لم يكن الى ميادين اكثر تخصصا مثل ميدان منظري الاعلام والاتصال. **واصبحت معالجة الاقناع تتم من خلال ثلاث زواياهي:**

- **زاوية بنية وسائل الاتصال (مقاربة سياسية وسوسيولوجية:** من يتحكم في الخبر ويوجهه؟).
- زاوية محتوى الرسائل(**أنماط الحجة، طبيعة الرسالة، خصائصها)**

- زاوية الآثار التي يحدثها الاقناع(تحليل النماذج الخاصة بتغيير الموقف وتشكل الآراء)

مما سبق يمكن القول ان **الاتصال الحجاجي هو** ذلك الاتصال الذي يهدف الى اقناع المتلقي بأهمية أوصحة رسالة المرسل باسعمال حجج بينة تضمن هذا الغرض، ليختلف بذلك عن باقي أنواع الاتصال الأخرى في الوسائل والاهداف.

ان عناصر العملية الاتصالية في حالة الاتصال الحجاجي لا يمكن وضعها في الاطار الضيق لمخطط الاتصال العادي، لذلك علينا في حالة اعتبار المحاجة كوضعية للاتصال أن نميز بين المستويات التالية من خلال ما يسميه Bréton بالمثلث الحجاجي:

- **رأي الخطيب**: يدخل في اطار المحتمل أو ما يسمي بالقريب من المعقول الذي يتعلق برسالة، فكرة، وجهة نظر...، هذا الرأي يوجد كما هو، بمعنى قبل أن يحول الى حجة حيث يمكن أن يكون لدينا رأي ونحتفظ به لأنفسنا ولا نبحث عن اقناع الآخرين به.
- **الخطيب**: الذي يحاجج لنفسه او لغيره.
- **الحجة التي يدافع بها الخطيب**: يتعلق الامر بالرأي المهيأ للإقناع والمسند لاستدلال حجاجي. الحجة في هذه الحالة يمكن ان تقدم كتابيا او شفويا بصورة مباشرة او غير مباشرة (هاتف، راديو...) او بالصورة.
- **المُخاطَب**: الذي يريد الخطيب اقناعه بالرأي المقترح، يمكن ان يكون شخص، جمهور او اي شيء آخر.
- **سياق التلقي**: يضم مجموع الآراء ، القيم والأحكام التي يتقاسمها الخطيب مع المخاطَب والتي تمثل مقدمة لفعل المحاجة ومنتظر منا ان تلعب دورا في استقبال الحجة، وفي قبول المخاطَب او رفضه أو تأييده.

مخطط الاتصال الحجاجي حسب Bréton

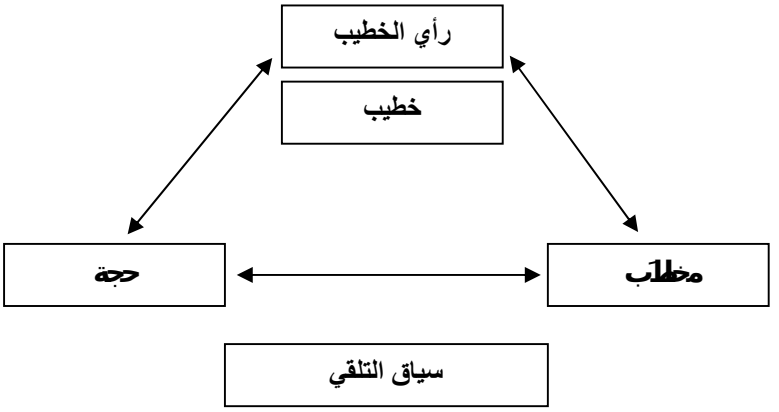

من خلا المثلث الحجاجي لـ Bréton يتضح أن الاتصال الحجاجي يعني سيرورة نقل رأي ما من الخطيب الى المخاطَب في شكل استدلال حجاجي لغرض تغيير (أو تحديث) سياق الاستقبال(آراء المخاطَب).